مطبوعات المجمع
عطاءات العلم
(١٦

الداء والدواء

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

حققه
محمد أجمل الإصلاحي

خرج أحاديثه
زائد بن أحمد النشيري

إشراف
ر بن عبد الله أبو زيد

دار عطاءات العلم

فصل

والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم وأحكام، سواء كانت محمودة أو مذمومة، نافعة أو ضارّة، من الذوق، والوجد[1]، والحلاوة، والشوق، والأنس، والاتصال بالمحبوب والقرب منه، والانفصال عنه والبعد منه، والصدّ والهجران، والفرح والسرور، والبكاء والحزن، وغير ذلك من أحكامها ولوازمها.

والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه وآخرته، وهذه المحبة هي عنوان سعادته [١٠٣/ب] والضارّة هي التي تجلب لصاحبها ما يضرّه في دنياه وآخرته، وهي عنوان شقاوته[2].

ومعلوم أنّ الحيّ العاقل لا يختار محبةَ ما يضرّه ويُشقيه، وإنّما يصدر ذلك عن جهلٍ وظلمٍ، فإنّ النفس قد تهوى ما يضرّها ولا ينفعها

---

(١) ف: «الوجد والذوق».

(٢) «والضارّة... شقاوته» ساقط من ف. وانظر إغاثة اللهفان (٨٤٦).

ـ وذلك ظلم من الإنسان[1] لنفسه ـ إما بأن تكون[2] جاهلةً بحال محبوبها بأن تهوى الشيء وتحبّه غيرَ عالمة بما في محبته من المضرّة، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم؛ وإما عالمةً بما في محبته من المضرّة، لكن تُؤثر هواها على علمها؛ وقد تتركّب[3] محبتها من أمرين: اعتقاد فاسد، وهوى مذموم. وهذا حال من اتبع الظنّ وما تهوى الأنفس.

فلا تقع المحبة الفاسدة إلا من جهل واعتقاد فاسد، أو هوًى غالب، أو ما تركّب من ذلك، وأعان بعضه بعضًا، فتتفق شبهةٌ يشتبه[4] بها الحقّ بالباطل تزيّن[5] له أمرَ المحبوب، وشهوةٌ تدعوه إلى حصوله. فيتساعد جيش الشبهة والشهوة على جيش العقل والإيمان، والغلبة لأقواهما.

وإذا عرف هذا، فتوابع كلّ نوع من أنواع المحبة[6] له حكم متبوعه[7]. فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد، توابعُها كلُّها نافعة له، حكمها حكم متبوعها. فإن بكى نفعه، وإن حزن نفعه، وإن فرح نفعه، وإن انقبض نفعه[8]، وإن انبسط نفعه. فهو يتقلب

---

(١) ف: «من ظلم الإنسان».

(٢) ل: «إما تكون».

(٣) ف: «تركب».

(٤) ف: «شبهة شبهية». ز: «شبهة شبهة». وقبلها في ف،ل: «فيتفق»، وفي ز: «فينفق»، تصحيف.

(٥) ف: «يزين»، تصحيف.

(٦) «من أنواع» ساقط من ل.

(٧) كذا في جميع النسخ الخطية والمطبوعة. ووجه الكلام: «فتوابع كلّ نوع... لها حكم متبوعها».

(٨) «وإن انقبض نفعه» ساقط من ل.

في منازل المحبة وأحكامها في مزيد وربح وقوّة.

والمحبة الضارّة المذمومة، توابعُها وآثارها كلّها ضارّة لصاحبها، مُبعِدة له من ربّه، كيفما تقلّب في آثارها ونزل في منازلها فهو في خسارة وبعد.

وهذا شأن كلّ فعل تولّد عن طاعة ومعصية. فكل ما تولّد عن الطاعة فهو زيادة[1] لصاحبه وقربة[2]، وكلّ ما تولّد عن المعصية فهو خسران لصاحبه وبعد. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا [١٠٤/أ] إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة/ ١٢٠ ـ ١٢١].

فأخبر سبحانه في الآية الأولى[3] أنّ المتولّد عن طاعتهم وأفعالهم[4] يُكتَب لهم به عمل صالح. وأخبر في الثانية[5] أنّ أعمالهم الصالحة التي باشروها تكتَب لهم أنفسُها. والفرق بينهما أنّ الأول ليس من فعلهم، وإنّما تولد عنه فكُتِب لهم به عمل صالح[6]. والثاني نفس أفعالهم فكُتبت[7] لهم.

---

(١) ف: «في زيادة»، خطأ.

(٢) ف: «قرب».

(٣) ف: «في الأولى».

(٤) ز: «وانفصالهم».

(٥) س: «في الآية الثانية».

(٦) «وأخبر في الثانية... صالح» ساقط من ف.

(٧) ف: «فتكتب».

فليتأمَّلْ قتيلُ المحبة هذا الفصل حقَّ التأمل ليعلم ما له وما عليه:

سيعلم يومَ العرض أيَّ بضاعةٍ أضاعَ وعند الوزن ما كان حَصّلا[1]

فصل

وكما أنّ المحبة[2] والإرادة أصل كل فعل كما تقدّم، فهي أصل كلّ دين سواء كان حقًّا أو باطلاً. فإنّ الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة، والمحبّةُ والإرادةُ أصل ذلك كلّه.

والدين هو الطاعة والعادة[3] والخلُق. فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلُقًا وعادةً. ولهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

قال الإمام أحمد: عن ابن عيينة، قال ابن عباس: لعلى دين عظيم[4].

وسئلت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقَه القرآنُ[5].

والدين فيه معنى الإذلال والقهر، وفيه معنى الذلّ والخضوع

---

(١) أنشد المؤلف في إغاثة اللهفان (٤٢٨ ـ ٤٢٩) مقطوعة بائية في أحد عشر بيتًا لعلها له، ومنها هذا البيت، إلا أن فيه هناك: «وعند الوزن ما خفّ أوربَا».

(٢) س: «وكمال المحبة»، تحريف.

(٣) ماعدا ز: «العبادة»، تصحيف.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/٢٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وسنده حسن. ورواه عطاء عن ابن عباس، ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٤).

(٥) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (٧٤٦).

والطاعة. فلذلك يكون من الأعلى إلى الأسفل، كما يقال: دِنتُه فدانَ، أي قهرته فذلّ. قال الشاعر:

هو دانَ الرِّبابَ إذ كرهوا الـ ـدِّينَ فأضْحَوا بعزّة وصِيالِ[1]

ويكون من الأدنى للأعلى، كما يقال: دِنْتُ اللَّهَ، ودِنْتُ لِلَّهِ، وفلان لا يدين اللَّهَ دينًا، ولا يدين الله بدينٍ. فدان اللَّهَ أي: أطاع الله وأحبّه وخافه. ودان لِلَّه أي: خشع له وخضَع وذلّ وانقاد.

والدين[2] الباطن لابدَّ فيه من الحبّ والخضوع كالعبادة سواءً، بخلاف الدين الظاهر[3] فإنّه لا يستلزم الحبّ، وإن كان فيه انقياد وذلّ في الظاهر.

وسمّى الله سبحانه يومَ القيامة «يومَ الدين» لأنّه اليوم الذي يدين فيه الناسَ بأعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا [١٠٤/ب] فشرٌّ[4]. وذلك يتضمّن جزاءهم وحسابهم، فلذلك فُسِّر بيوم الجزاء ويوم الحساب.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ﴾[5] [الواقعة/ ٨٦ ـ ٨٧] أي: هلّا تردّون الروح إلى مكانها، إن كنتم غير مربوبين ولا مقهورين[6] ولا مجزيّين.

---

(١) للأعشى في ديوانه (٦١). وفيه بعد «الدين»: «دراكًا بغزوةٍ وصيال».

(٢) ف: «فالدين».

(٣) ف: «بخلاف الظاهر».

(٤) ل: «فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا». وقد سقط «فشرّ» من س.

(٥) أكمل الآية (٨٧) في ف.

(٦) ف: «غير مدينين مقهورين».

وهذه الآية تحتاج إلى تفسير[1]. فإنّها سيقت للاحتجاج عليهم في إنكارهم البعث والحساب، ولابدّ أن يكون الدليل مستلزمًا لمدلوله، بحيث ينتقل الذهن منه إلى المدلول، لما بينهما من التلازم؛ فكلّ ملزومٍ دليل على لازمه، ولا يجب العكس.

ووجه الاستدلال أنهم إذا أنكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربّهم، وأنكروا[2] قدرته وربوبيته وحكمته. فإمّا أن يُقرّوا بأنّ لهم ربًّا قاهرًا لهم، متصرّفًا فيهم كما يشاء، يميتهم إذا شاء، ويحييهم إذا شاء، ويأمرهم وينهاهم، ويثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم؛ وإمّا أن لا يُقرّوا بربٍّ هذا شأنُه. فإنْ أقرّوا به آمنوا بالبعث والنشور والدين الأمري والجزائي. وإن أنكروه وكفروا به فقد زعموا أنّهم غير مربوبين ولا محكومٍ عليهم، ولا لهم ربٌّ يتصرّف فيهم كما أراد؛ فهلّا يقدرون على دفع الموت عنهم إذا جاءهم، وعلى ردّ الروح إلى مستقرّها إذا بلغت الحلقوم؟

وهذا خطاب للحاضرين[3] عند المحتضَر، وهم يعاينون موته. أي: فهلّا تردّون روحه إلى مكانها إن كان لكم قدرة وتصرّف، ولستم مربوبين ولا مقهورين لقاهر قادر يُمضي عليكم أحكامه، وينفّذ فيكم أوامره؟

وهذا غاية التعجيز لهم إذ تبيّن عجزُهم عن ردّ نفس واحدة من مكان

---

(١) س: «وفي فهم هذه الآية»، وكلمة «الآية» ساقطة من ل. وفي ف: «تفسيرها». وانظر التبيان في أقسام القرآن (١٥٠).

(٢) «البعث... وأنكروا» ساقط من ل.

(٣) ف: «الحاضرين».

إلى مكان، ولو اجتمع على ذلك الثقلان!

فيالها من آية دالّة على ربوبيته سبحانه، ووحدانيته، وتصرّفه في عباده، ونفوذ أحكامه فيهم وجرَيانها عليهم!

والدين دينان: دين شرعي أمري، ودين حسابي جزائي. وكلاهما لله وحده، فالدين كله لله أمرًا أو جزاءً. والمحبة أصل كل واحد من الدينين.

فإنّ ما شرعه سبحانه وأمر به يحبّه ويرضاه، وما نهى عنه فإنّه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما [١٠٥/أ] يحبّه ويرضاه، فهو يحب ضدّه. فعاد دينه الأمري كلّه[١] إلى محبته ورضاه. ودين العبد لله[٢] به إنّما يُقبل إذا كان عن محبة ورضى[٣]، كما قال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد رسولاً»[٤]. فهذا الدين قائم بالمحبّة، وبسببها شُرِع، ولأجلها شُرِعَ[٥]، وعليها أُسِّس.

وكذلك دينه الجزائي، فإنّه يتضمن مجازاةَ المحسن بإحسانه والمسيءِ بإساءته، وكلّ من الأمرين محبوب للربّ، فإنّهما عدله وفضله، وكلاهما من صفات كماله. وهو سبحانه يحبّ أسماءه وصفاته، ويحبّ مَن يحبّها.

---

(١) «كله» ساقط من ف.

(٢) «لله» لم يرد في ل.

(٣) س: «محبته ورضاه».

(٤) من حديث العبّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٣٤).

(٥) «ولأجلها شرع» ساقط من س.

وكلّ واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه سبحانه، فهو على صراط مستقيم في أمره ونهيه وثوابه وعقابه، كما قال تعالى إخبارًا عن نبيّه هود أنّه قال لقومه: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٤ ـ ٥٦].

ولمّا علم نبيّ الله أنّ ربّه على صراط مستقيم في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، وقضائه وقدره، ومنعه وعطائه، وعافيته وبلائه، وتوفيقه وخذلانه، لا يخرج[1] في ذلك عن موجب كماله المقدّس الذي تقتضيه أسماؤه وصفاته من العدل، والحكمة، والرحمة والإحسان والفضل، ووضع الثواب في موضعه، والعقوبة في موضعها اللائق بها، ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية والإضلال كلٍّ ذلك في أماكنه ومحالّه اللائقة به، بحيث يستحق على ذلك كمالَ الحمد والثناء = أوجب له ذلك العلمُ والعرفانُ أنْ[2] نادى على رؤوس الملأ من قومه بجَنان ثابت وقلب غير خائف بل متجرّد لله: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡ﴾[3].

ثم[4] أخبر عن عموم قدرته وقهره لكلّ ما سواه، وذلّ كلّ شيء لعظمته، فقال: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ فكيف أخاف ما ناصيتُه

---

(١) ز: «لا مخرج»، تصحيف.

(٢) ف: «إذ».

(٣) «ولمّا علم نبيّ الله...» إلى هنا ساقط من ل.

(٤) «ثم» ساقطة من س.

بيد غيره، وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه[1] دونه، وهل هذا إلا من[2] أجهل الجهل وأقبح الظلم!

ثم أخبر أنه سبحانه[3] على صراط مستقيم، في كلّ[١٠٥/ب] ما[4] يقضيه ويقدّره، فلا يخاف العبد جوره ولا ظلمه، فلا أخاف ما دونه فإنّ ناصيته بيده، ولا أخاف جوره ولا ظلمه فإنّه على صراط مستقيم. فهو سبحانه ماضٍ في عبده حكمُه، عدلٌ فيه قضاؤه، له الملك وله الحمد. لا يخرج تصرّفُه في عباده عن العدل والفضل[5]: إن أعطى وأكرَم وهدَى ووفّق، فبفضله ورحمته. وإن منَع وأهانَ[6] وأضلّ وخذَلَ وأشقى، فبعدله وحكمته. وهو على صراط مستقيم في هذا وهذا[7].

وفي الحديث الصحيح: «ما أصاب عبدًا قطُّ[8] همٌّ ولا حَزَنٌ، فقال: اللهمّ إنّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك؛ ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمُك، عدل فيّ قضاؤك؛ أسألك بكلّ اسم هو لك، سمّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم[9] ربيع قلبي، ونور صدري،

---

(١) س: «وهو في قهره وقبضته وتحت قهر سلطانه دونه».
(٢) ز: «ومثل هذا الأمر»، ولعله تحريف.
(٣) س،ل: «ثم إنه سبحانه أخبر أنه».
(٤) ف: «فيما».
(٥) «والفضل» ساقط من س.
(٦) «وأهان» ساقط من ف.
(٧) «وهذا» ساقط من ل. وفي س: «وفي هذا».
(٨) «قط» ساقط من ف.
(٩) «العظيم» من ل.

وجلاء حزني، وذهاب همّي وغمّي = إلا أذهب الله همّه وغمّه، وأبدله مكانه فرحًا[1]»[2].

وهذا يتناول حكم الربّ الكوني والأمري وقضاءَه الذي يكون باختيار العبد وغير اختياره، فكلا الحكمين[3] ماضٍ في عبده، وكلا القضائين عدلٌ فيه. فهذا الحديث مشتقّ من هذه الآية، بينهما أقرب نسب[4].

فصل

ونختم[5] الجواب بفصل يتعلّق بعشق الصور، وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة، وإن كانت أضعاف ما يذكره ذاكر، فإنّه يفسد القلب بالذات. وإذا فسد فسدت الإرادات والأقوال والأعمال، وفسد نفس التوحيد[6] كما تقدّم، وكما سنقرّره أيضًا إن شاء الله.

والله سبحانه إنّما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس، وهما اللوطية والنساء. فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودَتْه وكادَتْه به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفّته وتقواه، مع أنّ الذي ابتلي به أمرٌ لا يصبر عليه إلا من صبّره الله عليه. فإنّ موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي هاهنا في غاية القوة،

---

(١) س: «فرجا».
(٢) تقدم تخريجه في ص (٢٢/ ٢٣).
(٣) س، ل: «وكلا الحكمين».
(٤) وانظر: زاد المعاد (٤/ ٢٠٦)، والفوائد (٢١).
(٥) س: «ويختم».
(٦) ف: «ثغر التوحيد».

وذلك من وجوه[1]:

أحدها: ما ركّبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء[2] والجائع إلى الطعام، حتى إنّ كثيرًا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء. وهذا لا يُذَمّ إذا صادف حِلًّا بل يحمد، كما في كتاب الزهد للإمام أحمد[3] من حديث

---

(١) ف: «لوجوه». وكذا في ل، ولكن تحتها: «من». وقد ذكر المصنف جملة من الوجوه المذكورة هنا في مدارج السالكين (٢/١٥٦)، وطريق الهجرتين (٤٩٦)، وروضة المحبين (٤٤٩). وصرّح في المدارج أنها مما سمعه من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وانظر مجموع الفتاوى (١٥/١٣٨).

(٢) ف: «الماء البارد».

(٣) ليس في المطبوع. وقد أحال عليه المناوي في الفتح السماوي (١/٣٧٧) فقال: «وقد رواه عبدالله بن أحمد في زيادات الزهد عن أبيه من طريق يوسف بن عطية عن ثابت موصولاً أيضًا». وقبله الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف (١/١٩٦) من طريق أبي معمر. وأخرجه ابن حبان في المجروحين (٣/١٣٥) من طريق قتيبة بن سعيد كلاهما عن يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس، قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله جلّ وعلا جعل قرة عيني في الصلاة. وحبّب إليّ الطيب كما حبّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء. والجائع يشبع والظمآن يروى، وأنا لا أشبع من الصلاة. وكان إذا دخل البيت يكون في الصلاة أو في مهنة أهله» لفظ ابن حبان. والحديث لا يصح، وعلته يوسف بن عطية هذا، فإنه متروك الحديث.

تنبيه على جملة (أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن):

تعقب السيوطيُّ الزركشيَّ في إيراده هذه الجملة، بأنّه مرّ على الزهد لأحمد مرارًا فلم يجدها. والذي فيه: «... قرة عيني في الصلاة، وحبب إليّ النساء والطيب، والجائع يشبع، والظمآن يروى، وأنا لا أشبع من النساء». فلعله أراد هذا الطريق. انظر فيض القدير (٣/٣٧).

يوسف بن عطية الصفَّار، عن ثابت[1] عن أنس، عن النبي ﷺ: «حُبِّب إليّ من دنياكم النساء والطيب، أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن».

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شابًّا، وشهوة الشباب وحدّته أقوى.

الثالث: أنه كان عَزَبًا ليس له زوجة ولا سُرِّيّة تكسر شدّة الشهوة[2].

الرابع: أنه كان في بلاد غُربةٍ يتأتّى للغريب فيها من قضاء الوطر مالا يتأتّى له في وطنه بين أهله ومعارفه.

الخامس: أنّ المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث إنّ كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها[3].

السادس: أنها غير ممتنعة ولا آبية، فإنّ[4] كثيرًا من الناس يزيل رغبتَه في المرأة إباؤها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذلّ الخضوع والسؤال لها. وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع إرادةً وحبًّا، كما قال الشاعر:

وزادني كلَفًا في الحبّ أنْ مَنَعتْ ... أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا[5]

---

(١) ف: «ثابت البناني».

(٢) ف،ل: «سورة الشهوة». ز: «ثورة الشهوة».

(٣) ل: «موافقتها».

(٤) «فإن» ساقط من ل.

(٥) البيت للأحوص في شعره المجموع (١٩٥). وقد أورده المؤلف في روضة المحبين (١٨٠) أيضًا.

فطباع الناس مختلفة في ذلك، فمنهم من يتضاعف حبّه عند بذل المرأة ورغبتها، ويضمحلّ عند إبائها وامتناعها.

وأخبرني بعض القضاة أنّ إرادته وشهوته تضمحلّ[١] عند امتناع امرأته أو سُرّيته[٢] وإبائها بحيث لا يعاودها. ومنهم من يتضاعف حبّه وإرادته بالمنع، وتشتدّ شهوته[٣] كلّما مُنِع، ويحصل له من اللذّة بالظفر نظيرُ ما يحصل[٤] من لذة بالظفر بالصيد[٥] بعد امتناعه ونِفاره، واللذة بإدراك المسألة بعداستعصائها[٦] وشدّة الحرص على إدراكها.

السابع: أنّها طلبت وأرادت وراودت[٧] وبذلت الجهد، فكفتْه مؤنة الطلب وذلّ الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: [١٠٦/ب] أنّه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث[٨] يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له؛ فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: أنّه لا يخشى أن تنُمّ عليه هي ولا أحد من جهتها، فإنّها هي[٩] الطالبة والراغبة، وقد غلّقت الأبواب، وغيّبت الرقباء.

---

(١) «عند إبائها... تضمحلّ» ساقط من ف.

(٢) س: «وسرّيته».

(٣) ز: «ويشتد شوقه». ل: «فيشتدّ شوقه».

(٤) «له... يحصل» ساقط من ل.

(٥) ماعدا ف: «الضدّ»، ولعله تصحيف.

(٦) س: «استصعابها»، وأشير إلى هذه النسخة في حاشية ف.

(٧) «وراودت» ساقط من ل.

(٨) ف: «بحيث إنه».

(٩) «التاسع... هي» ساقط من ف. وكلمة «الراغبة» الآتية أيضًا سقطت منها.

العاشر: أنّه كان في الظاهر مملوكًا لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكَر عليه، فكان[1] الأنس سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي؛ كما قيل لامرأة شريفة من أشراف العرب[2]: ما حملكِ على الزنى؟ قالت: «قُربُ الوِساد، وطول السِّواد»[3]. تعني قرب وساد الرجل من وسادي[4]، وطول السِّواد بيننا.

الحادي عشر: أنّها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إيّاهنّ، وشكت حالها إليهنّ، لتستعين بهنّ عليه؛ فاستعان هو بالله عليهن، فقال: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف/ ٣٣].

الثاني عشر: أنها تواعدته[5] بالسجن والصَّغار. وهذا نوع إكراه، إذ هو[6] تهديد ممن يغلب[7] على الظنّ وقوعُ ما هدَّد به؛ فيجتمع[8] داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار.

---

(١) ف،ل: «وكان».

(٢) هي هند بنت الخُسّ الإيادية، امرأة جاهلية ذات دهاء وفصاحة ولسن. انظر: غريب أبي عبيد (١/ ١٦٦) والبيان للجاحظ (١/ ٣١٢، ٣٢٤).

(٣) السواد: المسارّة والمناجاة.

(٤) ل: «وسادة الرجل من وسادتي».

(٥) كذا في جميع النسخ. وكذا ورد «تواعده» بمعنى توعّده في طريق الهجرتين (٦٣٠) في مسودة المصنف وغيرها. وفي النسخ المطبوعة: «توعّدته»، ولعله من تصرّف الناشرين.

(٦) س: «وهو».

(٧) ف،ل: «من يغلب». وفي ز: «من تغلّب»، وكذلك ضبط فيها: «هُدِّد» بالبناء للمجهول.

(٨) ف: «فتجتمع به».

الثالث عشر: أنّ الزوج لم يظهر منه من الغيرة والنخوة ما يفرّق به بينهما، ويبعد كلاًّ منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلهما به أن قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾. وللمرأة: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۝٢٩﴾ [يوسف/ ٢٩] وشدة الغيرة في الرجل من أقوى الموانع، وهذا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلّها، فآثر مرضاةَ الله وخوفَه، وحمله حبُّه لله على أن اختار السجن[١] على الزنى، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف/ ٣٣]، وعلم أنّه لا يطيق صرفَ ذلك عن نفسه، وأنّ ربّه تعالى إنْ لم يعصمْه ويصرِفْه[٢] عنه صبا إليهنّ بطبعه، وكان من الجاهلين. وهذا من كمال معرفته بربّه وبنفسه.

وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكَم ما يزيد على ألف فائدة[٣]، لعلّنا إن وفّق[٤] الله [١/١٠٧أ] أن نفردها في مصنّف مستقلّ[٥].

فصل

والطائفة الثانية الذين حكى[٦] عنهم العشق هم[٧] اللوطية، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨

---

(١) ف: «وحمله خشية الله على اختيار السجن».

(٢) يعني: كيدهن. وفي ف: «ويصرف».

(٣) وقال نحوه في شفاء العليل (٢٢٤).

(٤) ل: «وفقنا».

(٥) لم نجد إشارة إليه في موضع آخر، ولا ندري أتمكن من تأليفه أم لا.

(٦) ل: «حكى الله».

(٧) في س: «في» مكان «هم»، تحريف.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ [الحجر/ ٦٧ ـ ٧٢]، فهذه عشقت.

فحكاه[1] سبحانه عن طائفتين عشِقَ كلٌّ منهما ما حُرِّم عليه من الصور، ولم يبال بما[2] في عشقه من الضرر.

وهذا داء أعيا الأطبّاءَ دواؤه، وعزّ عليهم شفاؤه. وهو ـ لَعمرُ الله ـ الداء العضال، والسم القتّال، الذي ما عَلِقَ بقلب إلا وعزّ على الورى استنقاذه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره.

وهو أقسام. فإنّه تارةً يكون كفرًا، كمن اتخذ معشوقَه نِدًّا يحبّه كما يحبّ الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يُغفر لصاحبه، فإنّه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يُشرَك به؛ وإنما يُغفَر بالتوبة الماحية.

وعلامة هذا العشق الشركي الكفري أن يقدِّم العاشقُ رضا معشوقه على رضا ربّه، وإذا تعارض عنده حقُّ معشوقه وحظّه وحقُّ ربّه وطاعته قدّم حقَّ معشوقه[3] على حقِّ ربه، وآثر رضاه على رضاه[4]، وبذل لمعشوقه أنفَسَ ما يقدِر عليه، وبذل لربّه ـ إن بذل ـ أردأ ما عنده،

---

(١) س: «فحكى الله». ل: «فحكاه الله».

(٢) «بما» ساقط من س.

(٣) «وحظّه... معشوقه» ساقط من س.

(٤) ف: «رضا ربّه».

واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرّب إليه، وجعل لربه ـ إن أطاعه ـ الفضلة التي تفضُل عن معشوقه من ساعاته[1].

فتأمَّلْ حالَ أكثر عشّاق الصور[2]، هل[3] تجدها مطابقةً لذلك؟ ثم ضَعْ حالَهم في كِفّة، وتوحيدَهم وإيمانَهم في كِفّة؛ وزِنْ وزنًا يُرضي الله ورسوله، ويطابق العدل.

وربما صرّح العاشق منهم بأنّ وصلَ معشوقه أحبُّ إليه من توحيد ربه، كما قال العاشق الخبيث[4]:

يترشّفْن من فمي رَشَفاتٍ هنّ أحلى فيه من التوحيد[5]

وكما صرّح الخبيث[6] الآخر بأنّ وصلَ معشوقه أشهى إليه من رحمة ربّه، ـ فعياذًا بك اللهم من هذا الخِذلان[7] ـ فقال: [١٠٧/ب]

وصلُك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالقِ الجليلِ[8]

ولا ريب أنّ هذا العشق من أعظم الشرك.

---

(١) ف: «ساعته».
(٢) س: «العشاق للصور».
(٣) لم ترد «هل» في ف،ل.
(٤) ل: «الحبيب»، تصحيف.
(٥) من قصيدة للمتنبي قالها في صباه. ديوانه (٣٠).
(٦) ل: «الحبيب»، تصحيف.
(٧) س: «فعياذًا بالله من هذه الحال ومن هذا الخذلان». وأشير في الحاشية إلى ما أثبتناه من غيرها.
(٨) سبق البيت مع قصته (٣٩٠).

وكثير من العشاق يصرّح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقُه عليه قلبَه كلَّه[1]، فصار عبدًا محضًا من كلّ وجه لمعشوقه! فقد رضي هذا من عبودية الخالق جلّ جلاله بعبودية[2] مخلوق مثله، فإنّ العبودية هي كمال الحبّ والخضوع، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذلّه لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية.

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة، فإنّ تلك ذنب كبير، لفاعله حكم أمثاله؛ ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك.

وكان بعض الشيوخ من العارفين[3] يقول: لأن أُبتلىَ بالفاحشة مع تلك الصورة أحبُّ إلي من أن أبتلى فيها بعشق يتعبّد لها قلبي ويشغله عن الله.

فصل

ودواء هذا الداء القتّال: أن يعرف ما[4] ابتُلي به من الداء المضادّ

---

(١) لم ترد «عليه» في س. ولم ترد «كله» في ف،ل.

(٢) زاد في ف بعدها: «غيره».

(٣) ز: «الشيوخ العارفين».

(٤) في طبعة عبدالظاهر: «أنّ ما»، وزيادة «أنّ» هذه خطأ جعل الكلام ناقصًا، وأدّى إلى زيادة أخرى في بعض الطبعات، وسياقها في طبعة المدني: «[أنّ] ما ابتلي به من [هذا] الداء المضاد للتوحيد [إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربه وسننه وآياته] أولاً». وقد وضع الناشر «إنما هو... أولاً» بين قوسين، وقال في تعليقه: «هذه الزيادة ساقطة من المخطوطة ونرى أنه لابدّ منها». وهي مع التعليق نفسه في طبعة السلفية (٢٣١) ثم جاءت طبعات معاصرة أثبتت الزيادة وحذفت القوسين!

للتوحيد أولاً، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتضرّع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وأن يراجع بقلبه إليه.

وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله. وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1] [يوسف/ ٢٤]. فأخبر سبحانه أنّه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه[2]. فإنّ القلب إذا خلَص[3] وأخلص عملَه لله لم يتمكّن منه عشق الصور، فإنّه إنّما يتمكن من قلب فارغ، كما قال[4]:

فصادف قلبًا خاليًا فتمكّنا[5]

وليعلم العاقل أنّ العقل والشرع يوجبان[6] تحصيل المصالح

---

(١) «المخلصين» بكسر اللام قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. انظر: الإقناع (٦٧١). واستدلال المؤلف بالآية مبنيّ على هذه القراءة.

(٢) ونحوه في زاد المعاد (٤/ ٢٦٨)، وإغاثة اللهفان (١٣٣، ٨٥٤، ٨٦٨)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٧).

(٣) ل: «خلص لله».

(٤) ل: «كما قيل».

(٥) ف، ز: «قلبًا فارغًا». وصدره كما في حاشية س، ف:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقد سبق في ص (٣٦١).

(٦) ز: «قد يوجبان».

وتكميلها وإعدام المفاسد وتقليلها. فإذا[1] عرض للعاقل أمر يرى فيه مصلحةً ومفسدةً[2] وجب عليه أمران: أمر علميّ، وأمر عمليّ. فالعلميّ طلبُ معرفة الراجح من طرفَي المصلحة والمفسدة، فإذا [١٠٨/أ] تبيّن له الرجحان وجب عليه إيثار[3] الأصلح له.

ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدَّر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بحبّ المخلوق وذكره عن حبّ الربّ تعالى وذكره. فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه بمعشوقه. فإنّ من أحبّ شيئًا غير الله عُذِّب به، ولا بدّ:

فما في الأرض أشقى من محبٍّ ... وإن وَجَد الهوى حلوَ المذاقِ
تراه باكيًا في كلّ حين ... مخافةَ فُرْقةٍ أو لاشتياقِ[4]
فيبكي إن نأوا شوقًا إليهم ... ويبكي إن دنَوا حذرَ الفراقِ
فتسخَن عينُه عند الفراق ... وتسخَن عينُه عند التلاقي[5]

---

(١) س: «وإذا».
(٢) «مصلحة و» ساقط من ز.
(٣) س، ل: «إتيان».
(٤) هذا البيت ساقط من ف.
(٥) الأبيات لنصيب في ديوانه المجموع (١١١). وهي في الحماسة (٢/٩٣) دون =

والعشق، وإن استعذبه العاشق، فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالث: أنّ العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه، يسومه الهوانَ[1]، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه، فقلبُه

كعصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يسومُها حياضَ الردى والطفل يلهو ويلعب[2]

فعيشُ العاشق عيشُ الأسير الموثَق، وعيشُ الخليِّ عيشُ المسيَّب المطلَق. فالعاشق كما قيل[3]:

طليقٌ برأي العينِ وهو أسيرُ عليلٌ على قطب الهلاك يدورُ[4]

ومَيْتٌ يُرىَ في صورة الحيِّ غاديًا وليس له حتى النشور نشورُ

= عزو. وأوردها المؤلف في إغاثة اللهفان (٩٢، ٨٢٣) أيضًا.

(١) ف: «سوء الهوان».

(٢) تمثل به المؤلف في روضة المحبين (٢٠٢)، وإغاثة اللهفان (٨٢٣) أيضًا. وقد نسب البيت إلى ابن الزيّات في معجم الشعراء للمرزباني (٣٦٦)، والفتح بن خاقان في الزهرة (٨٥). وهو في اعتلال القلوب (٣١٢) من إنشاد ابن الزيات. ورواية العجز فيها جميعا: «ورود حياض الموت والطفل يلعب». وانظر ديوان مجنون ليلى (٣٨).

وقد ورد بعده في طبعة المدني والنشرات التابعة لها زيادةٌ خلت عنها النسخ الخطية، وهي:

«كما قال بعض هؤلاء:

ملكتَ فؤادي بالقطيعة والجفا وأنت خليّ البال تلهو وتلعب»

(٣) «فالعاشق كما قيل» انفردت بها ف. وقد تمثل المؤلف بصدر البيت الأول في روضة المحبين (٢٠١).

(٤) ف: «تراه العين».

أخو غمَراتٍ ضاع فيهن قلبُه فليس له حتى الممات حضورُ

الرابع: أنّه[1] يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه. فليس شيءٌ أضيعَ[2] لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور.

أمّا مصالح الدين فإنّها منوطة بلَمِّ شَعَثِ القلب وإقبالهِ على الله، وعشقُ الصور أعظم شيءٍ تشعيثًا وتشتيتًا [١٠٨/ب] له[3].

وأمّا مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيَعُ وأضيَعُ.

الخامس: أنّ[4] آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشّاق الصور من النار في يابس الحطب.

وسبب ذلك أنّ القلب كلّما قَرُبَ من العشق وقويَ اتصالُه به[5] بَعُدَ من الله، فأبعد القلوب من الله قلوب عشّاق الصور. وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإنّ الشيطان يتولاّه. ومن تولاّه عدوُّه[6] واستولى عليه لم يألُه وبالاً، ولم يدَعْ أذىً يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله. فما الظنّ بقلب تمكّن منه عدوُّه وأحرَصُ الخلقِ على غيّه[7] وفسادِه، وبعُد منه وليُّه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقربه وولايته؟

---

(١) ماعدا ف: «أن».

(٢) يعني: أشدّ إضاعةً. صاغ اسم التفضيل على أفعل من المزيد.

(٣) «له» ساقط من ف.

(٤) «أنّ» لم ترد في ف.

(٥) «به» ساقط من س.

(٦) «عدوّه» لم يرد في س. وسقط «واستولى عليه» من ل.

(٧) ما عدا ف: «عيبه».

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهنَ، وأحدث الوسواسَ. وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها. وأخبار العشاق[1] في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها مشاهَد بالعيان.

وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميّز عن سائر الحيوانات؛ فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله. وهل أذهب عقلَ مجنون ليلى وأضرابِه إلا العشق؟

وربما زاد جنونه على جنون غيره، كما قيل:

قالوا جُنِنتَ بمن تهوى فقلتُ لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبُه ... وإنّما يُصرَع المجنونُ في الحين[2]

السابع: أنّه ربما أفسد الحواسّ أو بعضها[3] إمّا فسادًا معنويًّا أو صُوريًّا[4].

أمّا الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإنّ القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنًا منه ومن معشوقه، كما في المسند[5] مرفوعًا: «حبّك للشيء يُعمي [١٠٩/أ] ويُصِمّ». فهو يُعمي

---

(١) ف: «العاشق».

(٢) تقدّم البيتان في ص (٤١٨).

(٣) ز: «نقصها»، تصحيف.

(٤) س: «ضروريًّا»، تحريف.

(٥) ٥/ ١٩٤ (٢١٦٩٤)، ٦/ ٤٥٠(٢٧٥٤٨). وأخرجه أبو داود (٥١٣٠) والبخاري في تاريخه (٢/ ١٠٧) والبزار في مسنده (٤١٢٥) والطبراني في مسند الشاميين (١٤٥٤) والقضاعي في مسند الشهاب (٢١٩) وغيرهم من طريق أبي بكر بن =

عينَ القلب عن رؤية مساوي المحبوب وعيوبه، فلا ترى العين ذلك؛ ويُصِمّ أذنَه عن الإصغاء إلى العذل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك.

والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى إذا زالت رغبته فيه أبصر عيوبه. فشدّةُ الرغبة غشاوةٌ على العين تمنع من رؤية الشيء على[1] ما هو به، كما قيل:

هوِيتُكَ إذ عيني عليها غشاوةٌ فلما انجلتْ قطّعتُ نفسي ألومُها[2]

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه. ولا يرى عيوبه[3] إلا من دخل فيه ثم خرج منه. ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيرًا من الذين ولدوا في الإسلام. قال عمر بن الخطاب: إنّما تُنقَض عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا وُلِد في الإسلام من لم يعرف الجاهلية[4].

= عبدالله بن أبي مريم الغساني عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء فذكره مرفوعًا، وأحيانًا موقوفًا.
ورواه حميد بن مسلم وحريز بن عثمان كلاهما عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء قوله موقوفًا. أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧) وابن عساكر في تاريخه (١٠/ ٥٢٣) وغيرهما. وسند الموقوف صحيح. ورجح الوقف السخاوي والسيوطي.

(١) س: «إلاّ»، تحريف.

(٢) للحارث بن خالد المخزومي في مجموع شعره (١٠١). والرواية: «صحبتكَ» يعني عبدَالملك. وكذا أورده المؤلف في مفتاح دار السعادة (١/ ٤٦٧).

(٣) «والخارج منه... عيوبه» ساقط من ز.

(٤) ذكره المصنف في مدارج السالكين (١/ ٣٤٣)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٢٨٨). وفي النسخ: «ينقض» (ص). لم أقف عليه (ز).

وأما إفساده للحواسّ ظاهرًا[1]، فإنّه يُمرِض البدن ويُنهِكه، وربما أدّى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتلهم العشق.

وقد رُفع إلى ابن عباس ـ وهو بعرفة ـ شابٌّ قد انتحل[2] حتى عاد عظمًا بلا لحم[3] فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق. فجعل ابن عباس يستعيذ بالله[4] من العشق عامّةَ يومه[5].

الثامن: أنّ العشق ـ كما تقدّم ـ هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق حتى لا يخلو[6] من تخيّله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه. فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية، فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطّلها[7]

---

(١) س: «فظاهر»، خطأ.

(٢) لم يرد «انتحل» في كتب اللغة بمعنى نحَل الجسم نحولاً: رَقّ وهزل. والظاهر أنه استعمال عامّي.

(٣) كذا في ف. وفي غيرها: «لحمًا على عظم». وفي حاشية س: «جلدًا» وفوقه علامة «ص». وفي ز: «صار» مكان «عاد».

(٤) «بالله» لم يرد في س.

(٥) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٣٢٢) وابن الجوزي في ذم الهوى (٣٧٣) وابن عساكر في تاريخه (٣٧/ ٢١ ـ ٢٢)، (٢٩/ ١٧٩) من طريق محمد بن عيسى بن بكار عن فليح بن إسماعيل بن جعفر عن عبدالله بن صالح عن عمه سليمان بن علي عن عكرمة قال: «إنّا لمع ابن عباس عشية عرفة...» نحوه. وسنده ضعيف، محمد بن عيسى بن بكار لم أقف عليه. وفليح ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ١١) وقال: يعتبر حديثه من غير رواية شاذان عنه. (ز). وانظر مصارع العشاق (٢/ ٢١٧). (ص).

(٦) س: «حتى يخلو»، خطأ.

(٧) س، ل: «بتعطيلها». وقد سقط من ل: «تلك القوى فيحدث».

من الآفات على البدن والروح ما يعِزّ دواؤه أو يتعذّر[1]، فتتغيّر أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختلّ جميع ذلك، فيعجز البشر عن صلاحه، كما قيل[2]:

الحبُّ أوّلَ ما يكون لجاجةٌ تأتي به وتسوقه الأقدارُ[3]

حتى إذا خاض الفتى لُججَ الهوى جاءت أمور لا تُطاق كِبارُ

[١٠٩/ب] والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه همّ وشغلُ قلبٍ وسقم، وآخره عطَب وقتل، إن لم يتداركه[4] عناية من الله، كما قيل:

وعِشْ خاليًا فالحبُّ أولُه عَنا وأوسطه سقم، وآخره قتلُ[5]

وقال آخر:

تولَّعَ بالعشق حتّى عشِقْ فلمّا استقلّ به لم يُطِقْ

رأى لُجّةً ظنّها موجةً فلما تمكّن منها غرِقْ[6]

---

(١) ف،ل: «ويتعذّر». وفي س: «لو يتعذّر»، وصوابه ما أثبتنا من ز.

(٢) للعباس بن الأحنف كما في الأغاني (٥/١٩٣)، وانظر: ديوانه (١٣٩). وقد نسبا إلى المجنون (ديوانه ٩٦) وجميل (ديوانه ٨٤) أيضًا.

(٣) س،ف،ز: «لحاجة»، وقد ضبط في ف، ز بالجرّ، وكتبت في ف علامة الإهمال. و المثبت من ل، وهي الرواية المشهورة.

(٤) ف: «تتداركه». س: «يدركه».

(٥) لابن الفارض في ديوانه (١٣٤) وروايته: «فالحب راحته عنا، وأوله سقم».

(٦) ذكرهما المؤلف في روضة المحبين (٢٥٢) وشفاء العليل (١٣٨، ١٥٣) أيضًا. وهما من أربعة أبيات نقلها ابن الجوزي بسنده في ذمّ الهوى (٥٨٦) من إنشاد ابن نحرير البغدادي.

والذنب له، فهو الجاني على نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر: «يداكَ أَوْكَتا، وفُوكَ نفَخ»[1].

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني (٣/ ٥١٩).
(٢) لم يرد «فيه» في س.
(٣) ف: «ولا يفشيه».
(٤) «فيه» ساقط من ف.